فقال القطار . كلا بل أبصر جيداً . إني أبتغي الوصول عاجلا الى السفح الآخر التواري . فيجب أن تميل جنبك لكي أمر .

زه . زه . كأنك إنك تأمر بالمستحيل . دع هذا الحق وكر حول السفح .

— بل يجب أن أخترقك .

فقهقه الجبل قائلاً : « يا جبل طال لا تهزك ريح » . اقطع الصخرة يا سخيف اقطع .

— سأريك أن القادر على كل شيء سيهزك فتميد تحت قوته .

— عجباً . أإنها تعني .

— نعم . هو الاله القادر . هو الدينار الجبار .

— قه . قه . الدينار الذي لفظته تبراً فرقّ الى أن صار ورقاً ؟ فليأمر وصديقتي الريح لتثره بدداً .

وذهب القطار الى الدينار الجبار وتوسل اليه أن يقهر الجبل المتغطرس ، فوعده خيراً وما مضى حين حتى كان القطار ينساب في نفق في قلب الجبل . والجبل يتوجع من مغص دائم في جوفه ، ويستجير بالريح والعاصفة والزلزال ولا من مجير

* * *

وانتفخ ابن الانسان غروراً بنفسه ونادى المشرق والمغرب قائلاً يجب أن تتدانيا الى أن تصيرا واحداً ، لأنا نريد أن نتهامس ونتواصل من غير مرور زمن ، ومن غير هبور مسافات .

فقالا : كفى سخافة غرور ، وحماقة دهري ، أيها الانسان الحقير . إنما نحن حدود الزمان والمكان على الأرض . فلا تستطيع أن تتحرك من مكان الى مكان ، من غير أن تتحرك من زمان الى زمان . هل تستطيع ؟ أليس فيلسوفك هو الذي جمعهما في لفظ « الزمكان » . تسير بين المشرقين في زمانين وفي مسافتين .

فأجاب ابن آدم في إبان زهوه . بل يجب أن استغني عن الزمان والمكان جميعاً . يجب أن أكون في نقطة في سطح الكرة الارضية في أي حين متى شئت .

قالا : عجباً ! ألعلك صرت الاله الحاضر في كل مكان وزمان .

فقال : كذا يجب أن تكون هذه الكرة الارضية لي .

— الله الله . لا ريب إنك جننت . لأنه لا يستطيع هذا إلا الاله .

— أجل ديناري هو الاله الأرضي .

— إذن ، دع دينارك يفعل المستحيل .

وما هي إلاّ فترة حتى جمع السلكيُّ واللاسلكيُّ سطح الأرض في نقطة واحدة تحت قدمي ابن الانسان . فاهتزّ المشرقان غضباً . ثم وجما فرقاً وسجدا لقسرة الدينار الجبّار .

* * *

واجتمع النهر ، والبرزخ ، والبوغاز ، والجبل ، والمشرقان وجعلوا يتشاكون من طغيان الدينار الجبّار ، فقالوا ان هذا الشيطان الذي نحن أتجناه استفحل أمره ، وارتدّ علينا مشاكساً لنا ، ومعارضاً في وظائفنا ، وجعل يقصقص جوانحنا ويكسر قوائمنا ويدك أساساتنا . فما العمل لكي نكسح جماحه ونحطم رأسه .

واستلفت لعظيم الصاخبُ أذنَ الريح . فوقفت فيهم قائلةً : أتتشاكون من الدينار الجبّار إلّه الأرض ؟ فقد بُليتُ قبلكم بغطرسة هذا الإلّه الرهيب . كنت سيدة السفن الشراعية أديرها حسب هواي . فانتزع مني هذه السيادة وصارت السفن البخارية تمخر العباب في أية جهة وغم هواصفي وزوابعي . وكنت سيدة الجوّ أتحرك فيه كيف أشاء ، وأظلل الأرض بالسحب كما أشاء ، فما لبث أن نطح سحبي برؤوس أبراجه الشامخة . وما لبثت طائراته الضخمة تتمايل فوقي لقد انتزع هذا الشيطان مني كل مقدرة .

فقالوا : لله ما العمل بهذا الجبار لانتزاع هذه القوّة منه .

فقالت الريح . وهل هذه القوة قوته ، هي قوة العقل البشري وقوة العضل الحيواني . فلنلجأ إلى العقل ، ونشرح له الأذى الذي صدر من الدينار المسيطر على قوة العقل والعضل .

* * *

وذهبوا جميعاً الى العقل ليتكون له الأمر . فتنهّد العقل وقال : آه . واحرباه . وا نكبتاه بهذا الدينار . لقد خلقت الدينار ووهبته القوة ، « فلما استدّ[1] ساعده رماني » ما لبث أن أصبح سيداً ذهبياً ، وفرض عليّ عبادته ، وأخضعني لسلطانه ، وامتطى متن عضلي . وجعل يستخدمني ويستثمرني ويستعمل قوّتي وقوة عضلي لقوته حتى تضخم وصار جبّاراً . وليس له من مزية ولا موهبة سوى أنه ملك عنان السيادة ، فساد واستبدّ حتى صار دكتاتوراً .

فقالوا : عجباً ؟ أتكون أنت صانعه ومانحه القوة فلا تعود تقوى عليه ، بل هو يتسلط عليك ويستعبدك ؟ إذاً كنت ذكيًّا فريداً وسيلةً لاسترداد السلطة التي افتعبها منك .

فقال العقل : لا يمكن استرداد السلطة منه إلاّ بهلاكه في هيكله — في البورصة مقتله

فقالوا : ولكن ما هو السلاح الذي يُقتل به .

(١) استد : استقام

فقال : تفاقم الطمع والشهوات قد يقضي عليه . فهل تستطيعون إماتة الأطماع والشهوات في هيكله ؟

* * *

وهاجت عوامل الطبيعة جميعاً ، وشبت الحروب ، فاضطربت البورصة ، وتدمرت بيوت ، وعمرت بيوت ، وانتحرت أرواح ، وبطرت أرواح ، وتبددت دنانير ، وأضمحلت ثروات .

ولما هدأت الطبيعة وقف الدينار أمام العقل والشكاة وقال لهم : هل انتهت معركتكم ؟ إنكم لحمقى . تظنون أني تبددتُ . والله ما كنت إلا سائحاً أتجول بين الخزائن والجيوب . انتقلت من مكان الى مكان الى أمكنة عديدة . ولا أزال الدينار الجبار القادر على كل شيء .

فقال العقل : بقي أيها الدينار الجبار شيء لا تستطيعه مهما استفحلت ألوهيتك .

— أستطيع كل شيء على الأرض . لا أزال إلهَ الأرض القادر على كل شيء .

فقال العقل : خسئت . مهما استقويت واستفحلت فلا تستطيع أن تقتل الفقر . هل تستطيع ؟

فوجم الدينار الجبار . ثم قال : حقاً لا أستطيع أن أقتل الفقر . أنا والفقر صنوان صديقان . نقوم معاً ونسقط معاً ، إني وليد الفقر يا صاح . فليحيَ الفقر لكي أعيش أنا .

فقال العقل : لا تستطيع أن تقتل الفقر . ولكن الفقر سيقتلك ثم ينتحر .

* * *

هذه حكاية الدينار الجبار يا سيدي .

قلت : إنها لحكاية طريفة يا سيدي ولكنها تثبت لنا أن للدينار فضيلة عظمى لانه لولاه لما كان لنا قناة ولا نفق ولا جسر ولا طائرة ولا لاسلكي الخ .

قال : لم يفعل الدينار شيئاً من هذا . وإنما العقل والعضل هما اللذان فعلا كل شيء . بيد أن النظام الحالي هو الذي جعل للدينار سلطة على العقل والعضل بحيث لا يعملان إلا بإذنه . هذا النظام استعبد العقل والعضل وأجرى نتاجهما إلى أفراد معدودين ليتبوأ هو كواهلهم له . أزل هذا النظام يزل الدينار الإلهَ الأرضي ويبقى العقل والعضل حرَّين يعملان ويجتنيان نتاجهما

« في العدد القادم : نقاش في الديمقراطية »